

مفاهيم القرآن

(102) فعله سبحانه وقائمه به فهي إذن حاضرة لديه . ونتيجة هذا الحضور ليست سوى علم الله بها ولكن لا يدل مثل هذا الحضور على علم الموجودات هي بالخالق الواحد سبحانه . وبعبارة أخرى لو كان هدف الآية هو بيان أن الله أخذ من بني آدم "الإقرار" بربوبيته والشهادة بها من جهة حضور هذه الموجودات لدى الله - كما تفيده هذه النظرية - يلزم علم الله بهذه الموجودات والحوادث لا علم هذه الحوادث والموجودات بالله تعالى، فلا يتحقق معنى الشهادة والإقرار . فإن الله رباً ما يتصور إن حضور الأشياء عند الله كما يستلزم علمه بها ، كذلك يستلزم علم تلك الموجودات بالله . ولكن هذا وهم خاطئ وتصور غير سليم ، لأن الحضور إن ما يكون موجباً للعلم إذا اقترن بقيام الشيء بالله وإحاطته سبحانه بذلك الشيء ، ومثل هذا الملاك موجود في جانب الله حيث إن الله يقوم [تقوم به الأشياء] محيط بالكون في حين أن الله لا يوجد هذا الملاك في جانب الموجودات ، لأنّها محاطة وقائمة بالله (أي ليست محيطة بالله ولا أن الله سبحانه قائم بها حتى تعلم هي به تعالى). 3. أن هذا التوجيه والتفسير لآية الميثاق بعيد عن الأذهان العامة ، ولا يمكن إطلاق اسم التفسير عليه ، بل هو للتأويل أقرب منه إلى التفسير . نعم غاية ما يمكن قوله هو أن هذه النظرية تكشف عن أحد أبعاد هذه الآية ، لكنّه ليس البعد المنحصر والوحيد. هذا مضافاً إلى أن ألفاظ هذه الآية مثل قوله: (فأشهدهم على أنفسهم) ونظائره الذي هو بمعنى أخذ الشهادة والاعتراف والإقرار لا يتلاءم ولا ينسجم